

بهذوء

حلف المقاومة، فلسطينياً وأردنياً

كلمات

ناهض حنّ

عملية «شهداء القنيطرة» التي يشنها حلف المقاومة في جنوب سوريا، يتجاوز مضمونها الاستراتيجي نجاحاتها العسكرية بكثير؛ فهي أحدثت انقلاباً في الجغرافيا السياسية لبلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين والأردن)، نحو استعادة ترابطها البيئي، وارتباطها الجمعي بقضية الصراع مع الكيان الصهيوني، بوصفه صراعاً قومياً. ما تحقق حتى الآن، كأمر واقع، هو ارتباط جبهة الجنوب اللبناني بجبهة الجولان، لكن السياق الموضوعي للتحويلات الحاصلة، وضع الوطنيين الفلسطينيين والأردنيين، في مواجهة استحقاقات تاريخية كبرى.

بالنسبة للحركة الوطنية الفلسطينية - ونعني الاتجاه والمهمات والمناضلين، بأكثر مما نعني التنظيمات - لم يعد ممكناً المضيّ قدماً في البرامج السياسية التي أصبحت، اليوم، فائتة؛ فولادة جبهة المقاومة الشمالية، الممتدة من البحر المتوسط إلى الحدود الأردنية، ستخلل البرنامج الفتحاوي القائم على عملية المفاوضات الدائمة مع العدو، كإطار لنشوء كيان فلسطيني في مرحلة سقوط الكيانات القطرية في المشرق. وفي المقابل، فإن مشروع الإمارة الحمساوية في غزة، أصبح خارج المعادلات المستجدة التي أطاحت بمشروع الإخوان المسلمين، مخلّقة الحمساويين في حالة فوضى وانشقاق بين تيارين، أحدهما واقعي يرى أنه لم يعد أمام حماس سوى العودة إلى الأحضان الإيرانية، وثانيهما، الأقوى سياسياً، لا يزال يأمل بفرج يأتي من الجالس الجديد على عرش السعودية. هكذا، يتعثر اللقاء الإيراني - الحمساوي، وهو، على الأرجح، لن يحدث من دون تغييرات سياسية داخل حماس، تنتقل بها إلى حلف المقاومة

الذي أعاد ترتيب أوراقه، انطلاقاً من التماهي بالسيادة السورية بالذات، ما يجعل دمشق، رغم كل الدعم الذي تحصل عليه من إيران وحزب الله وروسيا، صاحبة القرار السياسي الأخير، في مشروع المقاومة.

يدرك الجناح الإخواني في حماس تلك الحقيقة الجيوسياسية التي تنبني في جنوبي سوريا. ولذلك، فهو يلجّ في مغازلة السعودية مباشرة، والتقرّب إلى الإمارات، بواسطة الفتحاوي المنشقّ محمد دحلان، بينما تطلق وسائل اعلامه حملة طائفية ضد حلف المقاومة المقاتل في الجولان ودرعا. كمثال، تشنّ يومية «السبيل» الإخوانية - الحمساوية، التي تصدر في عمّان، هجمة مسعورة على ما تعتبره «ميليشيات شيعية» تقاتل «المسلمين»، وتعرب، صراحة، عن تعاطفها مع «جبهة النصر»، رغم انكشاف التعاون الوثيق بين هذه المنظمة الإرهابية والعدو الصهيوني.

من سوء الحظ أن الفكر السياسي الفلسطيني لم يقترب، بعد، من معالجة المستجدات الإقليمية الحاصلة، تلك التي أعادت تعريف القضية الفلسطينية كقضية قومية في سياق إقليمي (إيران ودولي (روسيا)، وحولتها، استراتيجياً، إلى قضية صراع مع الكيان الصهيوني، تتجاوز مشروع إنشاء الدولة الفلسطينية، وتطيح، واقعياً، بما سُمي «القرار الوطني المستقل»، نهائياً، القرار، الآن، لدى حلف المقاومة، ولن يكون هناك، بعد، مكان لوطنية أو مقاومة فلسطينية، خارج هذا الحلف، وبرنامج قيادته.

بالنسبة للحركة الوطنية الأردنية، يبدو تحدي الاستحقاق الجيوسياسي لتموضع حلف المقاومة على حدود الأردن، أسهل وأكثر تعقيداً في الآن نفسه، هو أسهل لأن الوطنيين الأردنيين توصلوا، مبكراً، لإدراك السياسي لذلك الاستحقاق وتبعاته، ولأن الوطنية الأردنية ليس

لديها عقدة نقص إزاء المركز القومي السوري، وهو أكثر تعقيداً، بسبب ترابط الوطنية الأردنية بالدولة والجيش - وليس بالنظام - ما يجعل مشروع المقاومة الأردنية، بالضرورة، مشروع دولة لا مشروع حركة، وما يطرح، بالتالي، احتدام الصراع الاجتماعي - السياسي الداخلي حول محورية قضية المقاومة.

للأردن، الشعب والدولة، مصلحة استراتيجية في وأد مشروع الوطن البديل. وهو مشروع جرى انجاز العديد من مفاصله فعلياً، رغم، بل بسبب، معاهدة «وادي عربة» التي سمحت، منذ توقيعها العام 1994، بالترانسفير الناعم لأكثر من مليون شخص هاجروا من الضفة الغربية إلى الأردن. قيّدت تلك المعاهدة المشؤومة، أيضاً، القرار السياسي الوطني، وأضعفت القدرات الدفاعية في مواجهة العدوانية الصهيونية المدججة بالسلاح، وأتاحت، داخلياً، للقوى الكمبرادورية، خصوصاً القطاع العام ونهبه واطلاق قوى السوق التي سحقت جماهير الريف والبادية، بالإفقار والتهميش وتمييع الهوية الوطنية والقومية. وخلال سنوات الحراك الشعبي، بين 2011 و2013، عبرت تلك الجماهير، بصورة حاسمة، عن وعيها بترابط السلام مع الصهاينة والوطن البديل والفساد والفقر وتفكيك الدولة الوطنية.

بسبب رئيسي هو الخوف من التبعات المتوقعة لانهايار الدولة السورية على الأردن، من فوضى وانهايار أمني وسيطرة إخوانية وإرهابية على البلاد، تراجعت قوى الحراك الأردني، حفاظاً على الدولة والبلد. وهو ستاتيكو سينتهي بانتهاء سببه؛ فحين يحقق حلف المقاومة انتصاراً واضحاً على الإرهابيين، وتحتدم المواجهة مع العدو الصهيوني، ستتراكم القدرات لدى الحركة الوطنية الأردنية، بما يؤهلها لفرض شروطها، داخلياً وإقليمياً.

يؤكدون أن ترتيب جلوس باسيل لم يكن متانياً من موقعه الحكومي فحسب، وإنما أيضاً من حرص مستقبل على تظهير الحضور العوني، وهو حرص تبدي قبل ذلك في توجيه الدعوة وفي متابعتها وفي الإصحاح على تلبيتها. وبين توجيه الدعوة وتلبيتها، بحسب مصادر مطلعة، إشارات سياسية يُبنى عليها.

كما كان لافتاً، في موضوع رئاسة الجمهورية، قول الحريري إن «الجماعة (حزب الله) مش مستعجلين، وموقفهم عملياً يعني تأجيل الكلام في الموضوع»، في إقرار بأن الحزب باق على موقفه بدعم العماد ميشال عون مرشحاً وحيداً لرئاسة الجمهورية، من دون أن يرد على ذلك بإعلان تمسكه بمرشحه ججع، ولعل هذا ما أثار استياء الأخير الذي صرح غداة الذكرى بأن حزب الله و«داعش» هما «وجهان لعملة واحدة».

أما في المضمون، فكان واضحاً إيلاء الحريري، في جزء مهم من خطابه، اهتماماً كبيراً بالهيم المسيحي المتأني من الهجمة التكفيرية في المنطقة. فهو، بعد رسالة إبعاد النائب خالد ضاهر من صفوف كتلته، شدّد على الوقوف في وجه مشاريع العنف الديني والتطرف، وعلى المناصفة وحرية المعتقد وبناء الدولة المدنية البعيدة عن الدين، راسماً حدود عمل رجال الدين داخل الجامع والكنيسة. وهو قرن أقواله هذه بفعل فوري تجلّي في طريقة إحياء المناسبة التي بالغ المنظمون في مدينتها عبر إبعاد أي مظهر ديني عنها، فغاب رفع الأذان وقرع الأجراس الذي رافق المناسبات السابقة، واستبدلت باحتفالية فنية وغنائية.

تمتسك الحريري في المحور السعودي بعدما أكد أن لبنان ليس في أي محور، (الناضول)

فكر مرتين
الإثنين
21.15نصرالله يناشد عدم إطلاق النار
وبالونات بدل الرصاص

بعد تكرار حوادث إطلاق النار في الهواء خلال خطابات السياسيين، وآخرها خلال خطاب الرئيس سعد الحريري أول من أمس، والأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله قبل أسبوعين، وتلافياً لتكرار الأمر مساء اليوم خلال خطابه في «ذكرى القادة الشهداء»، أصدر نصرالله أمس بياناً ناشد فيه الجميع بعدم إطلاق النار.

وجاء في البيان: «أيها الكرام من المقرر أن أكون في خدمتكم مساء يوم الاثنين في ذكرى القادة الشهداء لنحيي سوياً هذه المناسبة العزيرة، ونظراً للمحاذير الشرعية والقانونية وما يلحق بالناس من أذى والمناسبة الكريمة من توهين، أتوجه إليكم بكل إصرار وأناشدكم بكل ما هو عزيز عندنا وعندكم، أن يمتنع الجميع عن إطلاق النار بشكل قاطع، وأن يتعاون الجميع لمنع ذلك، وأخص بالذكر الإخوة المسؤولين الذين عليهم بذل جهد مضاعف في هذا المجال، وأشكركم على كل التجاوب والالتزام الذي أرجوه منكم، والله ولي التوفيق».

وعلمت «الأخبار» أنه سيتم إطلاق بالونات قبيل الاحتفال في محيط مجمع سيد الشهداء. وانتشر على مواقع التواصل الاجتماعي أمس هاشتاغ # لن - أطلق النار، التزاماً بدعوة نصرالله.

برغم كل ما يحصل، «أما الباقي، فتفاصيل».

وفي الواقع «لم يتوجه الحريري في الأمر إلى الحزب، بقدر ما توجه إلينا كجمهور وكحلفاء معتمداً مخاطبة عواطفهم بالمبالغة، لا عقولهم بالمنطق» بحسب المصادر، التي أشارت إلى أن «نبرة خطابه كانت أشبه بضريبة كلامية دفعها الحريري بهدف التخفيف من حجم النقمة السنوية على ضربه عرض الحائط بكل الاعتبارات والمضي في خيار الحوار، متجاهلاً كل المعارضين في تياره»، مع أنه «أتى من موقع الناصح والواعظ والخائف على شباب الحزب كخوفه على شباب التيار»!

وكلام الحريري عن ملفات إقليمية هذه المرة كان لافتاً أيضاً، لأنه لم يكن يتطرق إليها في خطابات سابقة، باستثناء الملف السوري. أراد رئيس تيار المستقبل، كما تقول المصادر، أن «يكون حسن نصر الله السنّي في لبنان، والزعيم الذي يتخطى في خطابه لبنان، بعدما باتت الملفات الإقليمية تنعكس على الساحة الداخلية».